

أوديب ملكا سوفوكليس

بقتلم
الدكتور إبراهيم بكر

بكلية الآداب بجامعة عين شمس

ولا شك كانت تدر عليه أرباحاً وفيرة ، خاصة وأن القرن الخامس ق . م كما نعلم كان قرناً مليئاً بالحروب ، ولم تصلنا أية معلومات عن بقية أفراد الأسرة .

لم تكن قرية كولونوس التي ولد بها سوفوكليس ونشأ وترعرع شديدة التمسك بالدين كما كانت إليوزيس Eleusis مدينة الأسرار الدينية التي ولد بها أيسخيلوس . لذلك فقد نشأ سوفوكليس معتدلاً في دينه إنسانياً في عواطفه . فقد كان يحب اللهو والمتعة ولكن في شيء من الاعتدال ، وكان مرحاً ذا روح لطيفة دون أن يعميه ذلك عن تأمل ما في الحياة من آلام فهو القائل في آخر مسرحية كتبها (أوديب في كولونوس س ١٢٢٥-١٢٢٨) : « إن أعظم ما تجود به الأقدار على إنسان — عندما نمنع النظر في كل شيء — هو ألا يولد بالمرءة ، ويأتي في المرتبة الثانية بالتأكيد — على فرض أنه ولد — أن يسارع ما أمكن بالرحيل إلى حيث أتى » . وهذا يؤكد أن الاحساس بالمأساة كان عميق الجذور في نفسه . كما أن حياته الفنية وحبّه للهو والمرح لم تكن لتجعله يتردد عن المساهمة في خدمة بلاده . فاننا نعلم أنه انتخب مرتين قائداً عاماً في الجيش Strategos مرة مع بيريكليس Perikles وأخرى مع نيكياس

يعتبر سوفوكليس Sophokles من أعظم كتاب التراجيديات الذين عاشوا في القرن الخامس قبل الميلاد إن لم يكن أعظمهم . فاذا كان أيسخيلوس Aeschylus هو رائد التراجيديات الحق وخالقها المبدع فان سوفوكليس هو الذي سار بها نحو الكمال من ناحية حبكه البناء الدرامي وتصوير الشخصيات وسلاسة الأسلوب وعذوبة الألفاظ .

إننا لا نستطيع أن نحدد تاريخ ميلاد سوفوكليس على وجه الدقة ، فبعض المصادر تروى لنا أنه توفي فيما بين عامي ٤٠٦ و ٤٠٥ ق . م وقد بلغ من العمر الثانية والتسعين ، ومعنى ذلك أنه ولد فيما بين عامي ٤٩٧ و ٤٩٦ ق . م ، ومصادر أخرى تروى لنا أنه ولد فيما بين عامي ٤٩٥ و ٤٩٤ ق . م . وعلى ذلك فان معظم النقاد والمؤرخين المحدثين يحددون ميلاد سوفوكليس بين عامي ٤٩٧ و ٤٩٤ ق . م .

انحدر سوفوكليس من أسرة أثينية موسرة وإن كانت غير مشهورة ، تعيش في قرية كولونوس هيبديوس Kolonos Hippios الواقعة على مشارف مدينة أثينا . كان أبوه المدعو سوفيلوس Sophilos مملك مصنّعاً للسيوف أو الصناعات المعدنية الأخرى التي

Nikias ؛ كما خدم كواحد من المسؤولين عن خزانه حلف ديلوس ؛ وقام أيضاً بوظيفة الكاهن للبطلين أسكليبيوس Asklepius وألكون Alkon . لذلك فقد حظى بحب الجميع وتقديرهم واحترامهم حتى أن الأثينيين حزنوا لموته حزناً شديداً ورفعوه إلى مصاف الأبطال المقدسين تحت اسم ديكسيون Dexion (بمعنى منظم الاحتفالات أو المضيف) وقدموا له الهدايا وأقاموا له احتفالات سنوية .

حقاً لقد حظى سوفوكليس في حياته بكل ما يصبو إليه إنسان : العبقرية ، الصحة ، العمر المديد ، جمال الشكل والروح ، الثراء العريض ، والشهرة . وعلى الجملة فإن مكانته في المجتمع جعلته شخصية مرموقة تتناقل أقواله الأفواه ويلد للعامة والنقاد أن يشيعوا عنه القصص والحكايات . تمتع سوفوكليس بكل هذا في أزهى فترة من فترات تاريخ أثينا ؛ فانه كان قد ترك مرحلة الطفولة عندما تم النصر على الفرس في موقعة سلاميس (٤٨٠ ق . م) وعاصر في مرحلة شبابه ونضوجه قيام الإمبراطورية الأثينية ، لقد استمع إلى بيريكليس ، وشاهد البارثينون Parthenon والبروبيليا Propylaea ترتفع فوق الأكروبوليس Akropolis ، وعاصر أيسخيلوس ويوربيديس وأريستوفانيز ، وثيوكيديديس ، كما شاهد أعمال فيدياس . وكان سوفوكليس سعيد الحظ في مماته أيضاً ، فقد أنقذه الموت من أن يرى قوة أثينا البحرية تدمر تدميراً في موقعة آيجو سبوتامي Aegospotami (٤٠٥ ق . م) وكانت تلك هي المعركة الفاصلة في حرب البيلوبونيز سقطت على أثرها أثينا وآذنت بأن عصرها المزدهر قد أوشك على الذبول . وبذلك يتحقق قول أريستوفانيز عن سوفوكليس حين قال : « إنه كان يعيش في الآخرة سعيداً ، كما كان يحيا في الدنيا سعيداً » (الضفادع ، ٥ ، ٨٢) كما يتحقق قول الشاعر الكوميدي فرينيخوس Phrynichos حين قال في إحدى

شذراته التي بقيت لنا من أعماله المفقودة : « كان سوفوكليس محظوظاً ، فقد أمضى سنين عديدة قبل أن يموت ، كما كان رجلاً ناهياً وسعيداً كتب كثيراً من التراجيديات ، وقد انتهت حياته التي لم تعرف البؤس أبداً نهاية سعيدة » .

ومع ذلك فإن حياة سوفوكليس لم تكن تخلو من بعض المتاعب العائلية ، كان لسوفوكليس عدة أبناء من زوجة شرعية وأخرى غير شرعية . أشهر هؤلاء الأبناء المدعو إيوفون Iophon وكان أيضاً كاتباً تراجيدياً له مكانته . وتحكى قصة مشهورة - مشكوك في صحتها - أن إيوفون هذا ، وكان يغار من أخ له غير شرعى ويخشى أن توول أملاك أبيه إلى عشيقته وأبنائها ، قد رفع على أبيه في شيخوخته دعوى يطلب فيها الحجر عليه لعدم سلامة عقله وعجزه عن إدارة أملاكه ، كما يطلب تنصيب نفسه مديراً لهذه الأملاك . فما كان من سوفوكليس الشيخ إلا أن قرأ للمحلفين أجزاء من آخر مسرحية كتبها ولم يكن قد قلمها للعرض بعد وهى مسرحية أوديبوس في كولونوس Oedipus Koloneus وكان هذا دفاعاً كافياً لرفض دعوى إيوفون .

لقد ظهرت بوادر النبوغ على سوفوكليس منذ أن كان صبياً ، فقد وقع عليه الاختيار ، ولم تبلغ سنه السادسة عشرة ، وذلك لجمال شكله ورشاقته وبراعته في عزف الموسيقى ، ليكون قائد فرقة المنشدين الصبيان يوم الاحتفال بيوم النصر في موقعة سلاميس ؛ فقد تلقى سوفوكليس الطفل تعليمه في الموسيقى والرياضة البدنية والرياضيات والرقص ونظم الشعر على يد أستاذ مشهور يدعى لامبروس Lampros . وتحدثنا أخبار زمانه بأنه كان بارعاً في كل هذه العلوم والفنون وخاصة في نظم الشعر وعزف الموسيقى .

أما شهرته كشاعر مسرحى فلم نعلم عنها شيئاً قبل عام ٤٦٨ ق . م عندما فاز بالجائزة الأولى حين تقدم بعرض إنتاجه في المسابقة المسرحية التي عقدت في عيد

أنه تحدى الإله أبوللون في الغناء . ولكن ضعف صوته ورقته لم يمكنه من أداء الأدوار التراجيدية الكبرى ، إذ كانت قوة الصوت من أهم مقومات الممثل اليوناني لأن التمثيل كما نعلم كان يجري في مسرح مكشوف يسع آلافاً من المشاهدين قد تصل إلى الثلاثين أو الأربعين كما في مسرح ابيدوروس ، وكان على الممثل أن يصل بصوته إلى أعلا مكان بالمرح .

ظل سوفوكليس يكتب للمسرح أكثر من ستين عاماً أنتج خلالها فيضاً من المسرحيات تزيد عن المائة حازت الاعجاب ، فقد فاز بالجائزة الأولى أكثر من عشرين مرة ، ثماني عشرة منها في عيد ديونيزيا الكبير Great Dionysia والأخرى في عيد العصور Lenaia ؛ ولم ينزل قط عن الجائزة الثانية . ومما يؤسف له حقاً أن معظم ما كتب سوفوكليس وبخاصة ما كتبه في شبابه قد فقد ولم يعثر عليه ، إذ لم يبق من كل ما كتب إلا سبع تراجيديات كاملة . وقبل أن نتناول هذه التراجيديات بالتحليل ، يحسن أن نذكر كلمة عن أسلوب سوفوكليس وعن التجديدات التي أدخلها على فن المسرحية .

لقد بدأ سوفوكليس حياته الفنية بتقليد أسلوب ايسخيلوس ، وبعد أن مر أسلوبه بمرحلة من الصلابة والجفاف ، انتهى هذا الأسلوب بمرحلة سما فيها سمواً مكنه من التعبير عن أرق العواطف وأعماقها تعبيراً دقيقاً . وتمتاز أعماله ، بمقارنتها بأعمال معاصريه ، بالبساطة وفي نفس الوقت بالكمال والتناسق في بناء أجزائها ، أما لغته فليست كما يدعى بعض النقاد (شيبارد ، التراجيديا اليونانية ص ٩٣) غامضة مفتعلة ، بل هي لغة شاعر فنان ملك ناصية لغة قومه فأحسن التعبير عن أفكار وعواطف وسلوك شخصياته بدقة وإحكام قد يصعب علينا فهمه الآن بسهولة وذلك بمقارنة لغته باللغة الأتيكية العادية ، ولكنها لم تكن بحال صعبة على مشاهديه المعاصرين له وبخاصة المثقفين منهم . إن لدينا

ديونيزيوس الكبير لهذا العام . ويحتمل أن تراجيديا تريبتوليموس Triptolemos كانت لإحدى المسرحيات التي تقدم بها سوفوكليس في هذه المسابقة . وهذه المسرحية مفقودة ويبدو أنها كانت تعالج موضوعاً له علاقة بالأسطورة التي تحكى كيف أن الإله ديمتير Demeter أرسلت هذا الإله المحلى تريبتوليموس من إليوزيس إلى الناس كافة في جميع أنحاء العالم ليعلمهم زراعة القمح . ويقال إن الحكام في هذه المسابقة لم يتم اختيارهم بالطريقة المألوفة ، بل إن الأركون المشرف على العيد قد عهد إلى القائد كيمون Kimon وأركان حربه التسعة بالحكم على أعمال الشعراء المتنافسين بدلا من انتخاب محكمين ، وكانوا قد جاءوا إلى مسرح ديونيزيوس ليقدموا القرابين لهذا الإله بمناسبة نقل رفات البطل ثيسوس Theseus إلى أثينا . وقد حكموا لسوفوكليس في هذه المسابقة بالجائزة الأولى ، وكان ايسخيلوس العظيم أحد منافسيه في هذه المسابقة . ويدل هذا دلالة واضحة على أن سوفوكليس لم يفز بالجائزة الأولى لشهرته أو سمو مركزه بل لموهبته الدرامية الفذة التي تجلت بوضوح عند مقارنتها بأعمال منافسيه وخاصة أعمال ايسخيلوس .

كان ايسخيلوس يقوم بكل شيء في مسرحياته ، فبالإضافة إلى كتابة المسرحية كان يؤلف أيضاً ما يصاحبها من موسيقى ، ويدرب فرقة المنشدين ، ويقوم بتمثيل الأدوار الرئيسية . وقد قام سوفوكليس بمثل هذا العمل في بدء حياته الفنية ، وقد ساعده جمال شكله وعذوبة صوته وبراعته في عزف الموسيقى على القيام بأداء بعض الأدوار بنجاح كبير ؛ إذ تحدثنا الأخبار بظهوره على خشبة المسرح في مسرحيتين من مسرحياته ، الأولى حين قام بدور الأميرة العذراء ناوزيكا Nausika وسحر النظارة بعرضه الراقص ، والثانية حين مثل ببراعة دور الشاعر الغنائى الجذاب الشاب ثاميريس Thamyris الذي تروى الأساطير

ملاحظتين هامتين عن فن سوفوكليس جاءتا على لسانه هو ؛ الأولى حفظها لنا أرسطو (فن الشعر ١٤٦٠ ب ٣٣) إذ يقول « كان سوفوكليس يقول إنه يصور الناس كما يجب أن يكونوا بينما يوريبيديس كان يصورهم كما هم في الواقع » ؛ والثانية حفظها بلوتارخ (عن التقدم في الفضيلة ، ٧٩ ب) إذ يقول « كان سوفوكليس يقول إن الثمار الجافة لأعماله الدرامية الأولى كانت تقليداً لأسلوب ايسخيلوس الفخم ، ثم بدأ يتخلص من الخشونة والجفاف في أسلوبه الخاص وأخيراً أصبح أسلوبه أحسن أسلوب يمكن أن يستخدم لتصوير الطبيعة البشرية » . وهكذا نرى أن سوفوكليس كان يختلف عن زميله ايسخيلوس ويوريبيديس فهو يقف منهما موقف الوسط الذهبي ، فهو لم يخلق في سماء الميتافيزيقا كما كان يفعل ايسخيلوس المتصوف ، ولا هو نزل بأبطاله منزلة الأفراد العاديين كما فعل يوريبيديس ، بل كان تصويره للشخصيات تصويراً إنسانياً مثالياً .

أما التجديدات الفنية التي أدخلها سوفوكليس على المسرحية فأهمها ما يأتي :

١ - رفع عدد الممثلين إلى ثلاثة (انظر أرسطو . فن الشعر ، ١٤٤٩ أ ١٩) بعد أن كانوا اثنين عند ايسخيلوس ، وقد تبعه ايسخيلوس في ذلك في مسرحياته التي كتبها بعد ظهور أعمال سوفوكليس .

٢ - ابتكر رسم المناظر (أرسطو . فن الشعر ، المكان السابق) وبذلك أصبح تغييرها أمراً ميسوراً .

٣ - رفع عدد أفراد الجوقة إلى خمسة عشر بعد أن كان اثني عشر ، واستخدم الموسيقى الفريجية لأول مرة ، وجعل مثليه يستخدمون الأحذية العالية البيضاء (انظر حياة سوفوكليس لمؤلف مجهول ، قارن نورود . التراجيديات اليونانية ص ١٥) .

٤ - وثمة تجديد أكثر أهمية هو أنه تخلى عن رباعية ايسخيلوس tetralogy (انظر سويداس . حياة

سوفوكليس) وأبدل بها مسرحيات منفصلة لكل منها بداية ووسط ونهاية فكانت أعمالاً كاملة بنفسها . وهو بهذا يكون قد حرك المسرح اليوناني مسافة كبيرة نحو الشكل المسرحي المعروف الآن .

تعتبر مسرحية أياص Ajax — Aias هي ومسرحية أنتيجوني Antigone — 'Antigónē أقدم ما وصلنا من أعمال سوفوكليس . وتعالج الأولى مأساة انتحار أياص وكان يطلق عليها أحياناً « أياص حامل السوط » Aias mastigophoros لتمييزها عن تراجيديات أخرى باسم هذا البطل . وهذه المسرحية دراسة للخطأ الذي يؤدي إلى الفاجعة . فقد كان أياص من أشهر محاربي اليونان في حرب طرواده وكان يؤمن بأنه أحق من أي بطل آخر بأن تؤول إليه أسلحة أخيل ، غير أن أوديسيوس فضل عليه فأصيب كبرياء أياص في الصميم فخرج ليلاً ليجهز على زعيمى الحملة أجاممنون ومينلاوس باعتبارهما المسؤولين عن هذه الإهانة التي لحقت به . ولكن أثينا إلهة الحكمة قد استشاطت غضباً لهذا التصرف فأسرعت بالنزول من عليائها في الأوليمب فأطفأت نور عقله وأصابته بالجنون مما جعله يهاجم قطعاً من الماشية استولى عليه الجيش أثناء المعركة وهو يحسب أنه إنما يذبح أعداءه . وبعد أن أفاق من لوثته وتحقق من فعلته خجل من نفسه ، فابتعد عن أصدقائه وهم الجوقة المكونة من بحارة سلاميس وأسيرته الطروادية تيكميسا Tekmessa التي أنجبت منه ابناً ، ولجأ إلى مكان مهجور حيث هوى على سيفه وفارق الحياة . يأتي أخوه تيوكروس Teukros لينقذه ولكن بعد فوات الأوان وإن كان في الوقت المناسب ليقف أمام أجاممنون ومينلاوس اللذان أصدرتا أمراً يقضى بعدم دفن جثة أياص باعتباره خائناً ، وعندما يصل الموقف إلى قمة التأزم يدخل أوديسيوس وينجح في تهدئة الطرفين المتنازعين ويقنع أجاممنون ومينلاوس بضرورة دفن

الجنة بما يليق لها من تكريم وفقاً للمراسيم والطقوس المتبعة .

إن أقصى تطورات الأحداث في التراجيديات بصفة عامة تنتهى بموت البطل أو وقوعه في مكروه ، ولكننا هنا في مسرحية أياض نرى أنه انتحر في منتصف المسرحية تقريباً ، وهذا أمر قد يضايق القارئ العصري ولكن الفكرة الرئيسية لهذه التراجيديات ليست موت البطل بل رد اعتباره بعد انتحاره . وإنهاء سوفوكليس لهذه المسرحية على هذا النحو له دلالة أخلاقية على جانب كبير من الأهمية ، فهى تمثل انتصار العقل والإنسانية على الكراهية ، فهذا أوديسيوس — عدو أباس اللدود — يدافع عنه بعد موته . وقد ذهب بعض النقاد المحدثين (انظر روز . الأدب اليوناني ص ١٦٤) في الدفاع عن نهاية هذه المسرحية إلى حد أن أنهم كل من لا يرى جمال وقوة هذه النهاية بأنه ذو عقل بربرى لا علاقة له بالفكر اليوناني ، الذى كان يعتقد أن حياة الإنسان لا تنتهى بموته بل بدفنه . ومن ثم فإن المعارضة فى دفن جثة أباس وما أثارته من تحد وإصرار من جانب أخيه تيوكروس ثم دفاع أوديسيوس عن أباس ، كل هذه أفكار جوهرية فى التراجيديات . وتكشف مقدمة المسرحية أيضاً عن حقيقة فى غاية الأهمية ، إذ تظهر فى هذه المقدمة (والمقدمة هى ذلك الجزء من المسرحية الذى يسبق دخول الجوقة لأول مرة .) انظر أرسطو . فن الشعر ، ١٤٥٢ ب ١٩) الإله أثينا من الثيولوجيون theologeion (مكان تكلم الآلهة ومكان مرتفع على خشبة المسرح) وهى تخاطب أوديسيوس وبعد حوار قصير تستدعى الإلهة أباس المخبون من خيمته وتسخر منه فى قسوة وتقوده من غرور إلى غرور بينما يقف أوديسيوس متأثراً لهذه النهاية الأليمة التى ألمت بهذا البطل ، وعندما ينسحب أباس إلى خيمته ينطلق لسان أوديسيوس بما يجيش فى نفسه فيقول : « لست أعرف من هو أنبل منه وإنى لأرثى له فى محنته ، وإن كان عدوي ، فانه

مسوق إلى نهاية منجعة ، وإنى لأفكر فى مصرى كما أفكر فى مصره ، وإنى لأرى أننا جميعاً ما حيننا لسنأ إلا أشباحاً لا حقائق » . فهذه الفكرة — فكرة أن الحياة ليست إلا وهم — شغلت أذهان كثير من كتاب المسرح العظام على مر العصور ، وكان سوفوكليس أول من عبر عنها منذ حوالى ألفين وأربعمائة سنة .

أما أنتيجوني ، التى عرضت لأول مرة حوالى ٤٤١ ق . م فهى فى رأى معظم النقاد المحدثين من أروع ما كتب سوفوكليس ، وذلك لأنها تعرض مشكلة من أهم المشاكل الأخلاقية الأبدية ، وهى مشكلة الصراع بين الواجب الخاص والواجب العام . وإذا شئنا تلخيص أحداث هذه المسرحية كان علينا أن نذكر بعض الأحداث السابقة على بدء مسرحية سوفوكليس . بعد وفاة أوديبوس اتفق ولداه ايتوكليس Eteokles وبولينيكيس Polynikes على أن يتوليا حكم طيبة Thebes بالتعاقب على أن يتولاه كل منهما سنة ، فلما انتهت سنة ايتوكليس رفض أن يترك الحكم لأخيه الذى انطلق إلى أحد الملوك الأجانب يستنصره ويستعديه على أخيه الأمر الذى أثار أهل طيبة ضده وحبب إليهم ايتوكليس فهبوا يداً واحدة لنصرته والدفاع عن مدينتهم . ولما طال الحصار تقدم بعضهم باقتراح أن يتبارز الشقيقان المتنازعان فن قتل الآخر اعتبر منتصراً واستراح المتحاربون من هذا العناد . وتشاء الأقدار أن يوجه كل من الأخوين إلى شقيقه ضربة قاتلة ، إذ نفذ رمح كل منهما فى صدر الآخر فى وقت واحد ويموتان فى نفس اللحظة (وهذا الجزء من الأسطورة عالجها أيسخيلوس فى مسرحية سبعة ضد طيبة) ولما كان كريون Kreon خال القتلين أكبر أفراد الأسرة الأحياء ، فقد أصبح ملكاً بالوراثة ، وكان حاكماً صارماً لا يعنيه إلا أن يرد للحكم هيئته بعد أن زلزلت البلاد أحداث تلك المأساة المروعة ، فأمر بترك جثة بولينيكيس فى العراء تنوشه الطير ووحوش البرية ،

فلا يدفن ولا تقام له الشعائر الدينية إهانة له وتحقيراً
لشأنه ، لاستعداداته الأجانب على وطنه وخيانتته بذلك
بلاده وشعبه . أما إتيوكليس فقد احتفل بدفنه في
مهر-جان عظيم وأقيمت له الشعائر الدينية الملائمة للملك
أخلص الحب لبلاده وهب للدفاع عنها .

وكان للقتيلين أختان هما أنتيجوني وإسميني
Ismene (ومن هنا تبدأ مسرحية سوفوكليس)
الأولى فتاة صارمة قوية الإرادة ، هالما أن يترك جثمان
أخيها في العراء ويحرم حتى من أبسط ما يناله العامة من
الدفن بعد الموت ، فصممت على أن تقوم لأخيها بهذه
الشعائر الدينية ، على الرغم من علمها بأن عملها هذا
يعتبر استهانة بأوامر كريون التي هي في الواقع قانون
الدولة . أما أختها إسميني فهي فتاة ضعيفة تؤثر السلامة
ولذلك نراها تنصح أختها ألا تقدم على ما اعزمته من
ذلك الأمر ، ولكن أنتيجوني لا ترداد إلا تشبثاً واصراراً
على تنفيذ ما انتوت . يظهر الآن كريون على المسرح
ليؤكد قراره في كبر وخيلاء ، وما يكاد يفرغ من
ذلك حتى يظهر أحد الحراس يعلن أن جثمان بولنيكيس
قد أقيمت له شعائر الدفن وأهيل عليه التراب . فيثور
نائر كريون ويسخر من قول الجوقة بأن هذا التصرف
ربما كان من صنع الإله ، ويعلن عن اعتقاده بأن هذا
العمل قد تم نظير رشوة ، وينذر الحارس وجميع
زملائه بما هو أكثر من الموت إن لم يعثروا على المجرم
الذي فعل ذلك . وبعد أغنية من الجوقة يدخل الحارس
يبحر المذنبه أنتيجوني ، فيذهل كريون ويسألها : هل
جروئت على مخالفة هذا الأمر ؟ فتجيبه في هدوء : نعم
جروئت . فلم يكن أمراً صدر من زيوس ولا من غيره
من الآلهة الذين يشرعون للناس قوانينهم . فيحقق كريون
ويحكم على الفتاة بالموت صبراً في أحد الكهوف .

يعلم بذلك الفتى هايمون Haemon ابن كريون
وخطيب أنتيجوني وحبیبها ، فيسرع إلى أبيه لمناقشته
ومحاولة اقناعه بالعدول عن رأيه ولكن كريون يصبر

على موقفه ، وحجته في ذلك أنه لا بد من المحافظة على
القانون والنظام . فيرد عليه هايمون بأنه لا يمكن لفرد
واحد مهما بلغ من الحكمة أن يقطع بأنه على صواب في
حكمه . فيصيح كريون : الدولة هي الملك فيرد هايمون
هذا إذا كانت الدولة صحراء . ويخرج هايمون مسرعاً
ليلحق بخطيبته .

وهنا يظهر العراف الأعشى تيريسياس Tiresias
ويحذر كريون من المصير في طريق الهاوية ، ويتنبأ له
بنبوءة مفاجئة تهزه ، فيخرج لإلغاء قراره ، ولكن
هيات ، لقد سبق السيف الغزل . يدخل رسول ليعلن
أن الملك كريون حين ذهب ليخرج أنتيجوني من
الكهف وجدها بجثة هامدة بين ذراعي ولده هايمون ،
الذي ثارت نائرتة حين رأى أباه ، وهم بطعنه بسيفه ،
ولكن كريون فر هارباً ، فما كان من هايمون إلا أن غمد
هذا السيف في صدره هو وفارق الحياة . وحين تعلم
يورديكي Eurydike زوج كريون وأم هايمون
بانتحار ابنها ترجع إلى القصر لتنتحر هي الأخرى .
وحين يعلم كريون بكل هذه النكبات يعصف بروحه
الجنون وينطلق بعيداً إلى حيث لا يعلم أحد من أمره
شيئاً .

إن المسرحية في الواقع تصوير رائع لنموذجين
مختلفين من نماذج العناد والاصرار . وبالرغم من أن
معظم النقاد المحدثين (انظر لأرديس نيكول . المسرحية
العالمية . الجزء الأول ص ٦٧ ، روز . الأدب اليوناني
ص ١٦٥) يرون أن سوفوكليس يتخذ موقفاً وسطاً بين
هذين الضدين ، لأنه يصور أنتيجوني غير مبرأة من
كل عيب بل هي أنانية في كبريائها تبدو بمظهر الارهاق
العصبي والضييق بالحياة وتكاد نفسها تكون عالقة
بالموت ، إلا أن ختام المسرحية ، وهو في العادة
يلخص مغزاها ، يدل دلالة واضحة على أن سوفوكليس
كان متعاطفاً مع أنتيجوني التي تمثل الدفاع عن القانون
السماوى - قانون الآلهة - إذ يجرى على لسان رئيس

الجوقة في آخر جملة في المسرحية ما يأتي : « إن الحكمة هي أول ينابيع السعادة ، لا ينبغي التقصير في تقوى الآلهة . إن غرور المتكبرين يعلمهم الحكمة بما يجلب لهم من شرور ولكنهم يتعلمون بعد فوات الأوان وتقدم السن » .

تأتي بعد ذلك في ترتيب ما وصلنا من أعمال سوفوكليس مسرحية نساء تراخيس أو التراخينيات Trachiniae — Τραχινίαι ، ويحتمل أنها عرضت حوالي عام ٤١٣ ق . م وهي تعتبر أضعف ما كتب سوفوكليس . وتتلخص أحداث هذه المسرحية التي تجري أمام قصر هيراكليس Herakles في تراخيس Trachis بالقرب من إيوبويا Euboea في أن ديانيرا Deianira زوج هيراكليس تظهر على المسرح مشغولة البال لغياب زوجها وذلك لأن هناك نبوءة أنبأته قبل رحيله بأن هذه آخر حملة يقوم بها ، وأنه إما أن يلقى مصرعه أو يعيش بعدها عيشة راضية خالية من كل هم وتعب . ولشدة قلقها عليه لطول مدة غيبته أرسلت ابنها هيللوس Hyllus للبحث عن أبيه ومساعدته . وهنا يدخل الرسول يعلن أنباء انتصار هيراكليس ، كما يعلن وصوله إلى قرية مجاورة ؛ ومع الرسول تدخل فتيات أسيرات من بينهن الفتاة إيولي Iole ابنة أحد الملوك التي وقع هيراكليس أسير هواها . تعلم ديانيرا بهذا الحب ، فتعيد الرسول ومعه هدية إلى زوجها ، وكانت هذه الهدية عبارة عن رداء ملطخ بدم الكنتاور نيسوس Kentaur Nessus (والكنتاور عبارة عن وحش آدمي) وهي تعتقد أن هذا الرداء سيعيد لها حب زوجها . وبعد خروج الرسول ، تكتشف بالصدفة أنها لطخت الرداء بسم قاتل . عندئذ يعود هيللوس ليعلن أن أباه في الزرع الأخير ويصف ما لاقاه من ألم عند ارتداء الثوب ، ويعنف أمه ويتهمها بتدبير مقتل أبيه ، فتسحب ديانيرا منكسرة حزينة إلى داخل القصر لتنتهي حياتها ، وتدخل مربيها العجوز لتعلن انتحارها .

يدخل البطل هيراكليس محمولا بين أيدي رجاله وهو يلعن حمق زوجته ويشرح خطأها ، ويكون آخر ما يأمر به أن تحرق جثته بعد موته فوق جبل أويتا Oeta وأن تزوج ابنه هيللوس من إيولي :

إن أهم ما يلفت النظر في هذه المسرحية هو محاكاة سوفوكليس لطريقة يوربيديس في الكتابة ، فالموضوع نفسه ، موضوع حب المرأة ، ذلك الحب الذي قد يدفعها دون قصد إلى إلحاق الأذى بمن تحب ، يذكرنا بكثير من موضوعات يوربيديس ، بل إن الموضوع نفسه قد سبقه إلى كتابته يوربيديس ، ولم يزد سوفوكليس عنه شيئاً . كما أن سوفوكليس في كتابة مقدمة هذه المسرحية قد سار على نهج يوربيديس وبخاصة في خطاب ديانيرا الإيضاحي في أول المسرحية الذي يشرح ما سبق من أحداث . والسطور الأخيرة بما فيها من عتاب للآلهة على قسوتها على عبادها والصمت المطلق على تأليه هيراكليس ، ذلك التأليه المألوف عند معالجة أسطوريته ، كل هذا من تأثير يوربيديس على سوفوكليس . وأخيراً دور الجوقة في هذه المسرحية ليس كدور جوقات سوفوكليس الأخرى ، التي امتدحها أرسطو في كتابة فن الشعر (١٤٥٦ أ ٢٧) لأنها تقوم بدور كأحد الممثلين وتؤلف جزءاً من الكل وتعين على تطور الحدث ، بل هو هنا كما عند يوربيديس لا يساعد على تطور الأحداث ، وإنما تقدم الجوقة أغنيات عذبة بين المشهد والمشهد تصلح لأن تكون فاصلاً بين مشاهد أى مأساة أخرى بتعديل بسيط .

تأتي بعد ذلك إلى مسرحية إلكترا Ηλέκτρα — Elektra التي عرضت لأول مرة في عام ٤١٠ ق . م على وجه التقريب . وهي تعالج نفس الموضوع الذي عالج أيسخيلوس من قبل في مسرحية الخويفوروي Choephoroe أى حاملات القرايين . وهو موضوع انتقام أورستيس Orestes وأخته إلكترا من أمهما كليتمنسترا Klytarnnestra لقتلها أبيهما أجاممنون

Agamemnon . ويمكن تلخيص عمل سوفوكليس على النحو التالى : المنظر أمام قصر أجامنون والوقت فجرآ . يدخل المسرح ثلاثة أشخاص نعلم من كلامهم أنهم أورستيس وصديقه بيلاديس Pylades ومرييه العجوز . لقد عاد أورستيس للانتقام لأبيه من أمه ويضعون خططهم ثم يخرجون لزيارة قبر أجامنون قبل بدء تنفيذ الخطة . تدخل ألكترا منتحبة تتبعها الجوقة المكونة من مجموعة من فتيات ميكينى Mycenae يعطفن عليها وعلى آلامها ، غير أنهن ينصحن لها بأن تنسى هذه الآلام . وهنا تدخل المسرح شخصية جديدة لم تظهر فى عمل ايسخيلوس وهى شخصية خريسوثيرميس Chrysothemis أخت ألكترا وهى شخصية ضعيفة على العكس من شخصية ألكترا . (لاحظ التشابه بين ألكترا وأنتيجوني فى ناحية وخريسوثيرميس وإسمينى فى ناحية أخرى) وقد أقحمها سوفوكليس ليبرز شخصية ألكترا . توصى خريسوثيرميس أختها ألكترا بالحذر وتطلب منها الخضوع لأوامر السلطات . فتغضب ألكترا وتتهمها بالجن وبأنها تنحاز إلى أمها متناسية مقتل أبيها وخيانة أمها له . ثم يتبع ذلك مشهد عنيف بين ألكترا وأمها كليتمسترا . تحاول الأم أن تبرر قتلها لأجامنون بأنه عدل جزاء لقتله ابنته إفجينيا وتدافع ألكترا عن أبيها بأنه فعل ما فعل إرضاء للألهة ثم يحتدم النزاع بينهما ويتضح ما بينهما من عداة قاتل ويتبادلان السباب . يدخل المربي تنفيذاً للخطة المتفق عليها فيتقدم من كليتمسترا ويعلن لها موت أورستيس ويلفق لها حكاية عن موته فى سباق العجلات ، فتتنازع كليتمسترا عواطف متباينة لهذا النبأ . « أخير هذا أم شر ؟ إنه شر فيه شيء من نفع . ما أغرب الأمومة . إن الواحدة لتهان ولكنها لا تستطيع أن تبغض أبناءها » . ثم تخرج مع المربي لتقوم بواجب الضيافة حيال من نقل إليها الخبر الذى أمنها على حياتها ووضع حداً لقلقها . تبقى ألكترا لتبكي أخاها وتندب حظها ، إذ تحطم ما كانت

تعتمد عليه من أمل فى أخيها للانتقام من هذه الأم الدنسة ؛ تدخل خريسوثيرميس جذلة طروب وتخبر أختها ألكترا بأنها رأت قبر أجامنون مكلاً بالزهر وفى أعلاه خصلة من شعر حديثه العهد مما يدل على عودة أخيها أورستيس ، فتخبرها ألكترا بما سمعت عن نبأ قتله وتطلب منها مساعدتها على تنفيذ ما كان سيقوم به أورستيس من الانتقام من أمهما وعشيقها ، فرفض الاشتراك معها فى ذلك وتخرج ؛ وهذا ما كانت تتوقعه ألكترا التى تصمم على تنفيذ ما انتوت وحدها دون معونة أحد . يدخل أورستيس وبيلاديس الذى يحمل وعاء به بقايا رفات أورستيس المزعومة . يقترب أورستيس من ألكترا المحزونة ويطلب منها إعلان خبر وصوله حاملاً الدليل القاطع على وفاة أورستيس وهو الوعاء الذى به بقايا رفات أورستيس الراحل ، فزداد حزناً وبؤساً وتطلب منه إعطاءها هذا الوعاء لتبكي أخاها فيفعل ، ولكن وقد أخذته الشفقة والرحمة لما ألم بها من حزن وألم فانه يكشف لها عن نفسه فينقلب حزناً وألمها فرحاً وسروراً ، فقد حانت اللحظة التى تنتظرها سنين عديدة ، حانت لحظة الانتقام من الأم وعشيقها اللذين دنسا شرف أبيها وقتلاه غدراً ، فيظهر المربي خارجاً من القصر ويحذرهما ويطلب منهما الكف عن الحديث وعن صيحات الفرح التى قد تكشف الأمر ، ويخبر أورستيس بأنه قد مهد له السبيل ، وما عليه إلا أن يدخل لينجز مهمته . ويدخل الجميع القصر ما عدا ألكترا التى تظل لتحول دون أن يفاجئهم ايجستوس Aegisthus . يسمع من داخل القصر صوت كليتمسترا مستغيثاً ، ثم تطلب من ابنها أن يشفق عليها ثم تصرخ ويغيب الصوت فقد حم القضاء . يخرج أورستيس وبيلاديس من القصر ويعلنان لألكترا النبأ ، وما إن يظهر ايجستوس من بعيد حتى تطلب الجوقة من أورستيس وبيلاديس أن يدخلوا القصر بسرعة وأن يحسنوا العمل مرة أخرى كما أحسنه فى المرة الأولى .

يقبل ايجشوس فرحاً ويسأل عن الرسول الذى يحمل خبر مصرع أورستيس وعن الدليل الذى يحماه ليدل على صدق قوله ، ثم يأمر بأن تفتح أبواب القصر ليرى أهل المدينة كلها هذا المنظر ليدعن لإرادته كل من حدثته نفسه بالأمل فى عودة أورستيس بعد أن يرى جثته . يفتح باب القصر وتظهر جثة مسجاة وإلى جانبها أورستيس وبيلايس فيتقدم ايجشوس ، ويطلب منهما أن يرفعا الغطاء عن الجثة ، فيخبره أورستيس بأن عليه أن يرفعه هو ، وما إن يرفعه حتى يشهق ويدعر ويعرف أنه وقع فى الشرك . يحاول أن يبرىء نفسه فتطلب إلكترا من أخيها ألا يدعه ينطق بكلمة فيجره أورستيس ليلقى على يده مصيره المحتوم .

لقد عالج أيسخيلوس هذا الموضوع من قبل ولكنه عالج على أنه موضوع دينى ، فقد كانت فكرة العقاب والعدل الإلهى هى أهم ما يهتم به ، فهو يركز كل جهده فى إظهارها وجعلها الفكرة السائدة ، حتى أنك لتحس بأنه لم يهتم بغيرها فلا وصف للشخصيات ولا تحليل لنفسياتهم ولا دراسة لمجتمعهم ، ولذلك فاننا نراه فى جانب أبوللون دائماً . أما سوفوكليس فقد تناول الموضوع على أنه مشكلة نفسية وهى التطور العاطفى للإلكترا . وبالرغم من أن سوفوكليس كان لا يختلف كثيراً عن ايسخيلوس من ناحية التفكير الدينى واحترام الآلهة ، إلا أنه كان يختلف عنه فى اهتمامه بالإنسان ومحاوله انصافه وتبرير موقفه واعفائه من المسؤولية ، ولذلك فان قتل أورستيس لأمه كليتمنسترا خال من كل شك فى العدالة الإلهية ، فلا جناح إذن على أورستيس وأخته لقتلهما أمهما باعتبار أن القتل تم تنفيذاً لأمر الآلهة . لقد حاول سوفوكليس أن يفسر الأسطورة تفسيراً إنسانياً ، لذلك فاننا نراه لا يركز عنايته فى الموضوع نفسه بل فى شخصية بعينها يدافع عنها هى هنا شخصية إلكترا التى تدور حولها كل الشخصيات

الأخرى التى تساعد على توضيح معالم هذه الشخصية الرئيسية بفضل تفاعلها وتصارعها معها .

أما مسرحية فيلوكتيتيس Philoktetes Φιλοκτετης فقد عرضت حوالى عام ٤٠٩ ق . م ، وكان سوفوكليس قد بلغ السابعة والثمانين على وجه التقريب ، وفازت بالجائزة الأولى . وفيلوكتيتيس ، كما تروى الأساطير ، كان صديقاً حميماً للبطل هيراكليس ، ولقد كوفىء على خدماته لهيراكليس بأن أخذ قوس البطل وسهامه . اشترك فيلوكتيتيس فى حملة اليونان ضد طرواده ، وفى الطريق لدغته حية سامة فى إحدى قدميه ، ولم يندمل الجرح بل انتشرت رائحته الكريهة بين الجنود ، فقرر زعماء الحملة التخلص منه بتركه فى جزيرة ليمنوس Lemnos يقاسى آلام جراحه ووحدته . وبعد عشرة أعوام مضت فى حصار طرواده ، علم اليونان عن طريق نبوءة من وحى دلفى أنهم لن يتمكنوا من فتح طرواده إلا إذا اشترك فى المعركة فيلوكتيتيس بأسلحته التى ورثها عن هيراكليس ، فأرسلوا لاستدعائه أوديسيوس Odysseus لدهائه وسعة حيلته ونيوبتوليموس Neoptolemus ابن أخيل لأنه كان غير معروف لفيلوكتيتيس . ومن هنا يأخذ سوفوكليس عقدة مسرحيته . كيف يمكن اقناع فيلوكتيتيس ، ذلك البطل الخائق ، بضرورة الذهاب إلى طروادة لمساعدة إخوانه الخائنين الذين تركوه وحيداً فى جزيرة مهجورة ؟

يصور المنظر الأول كهف فيلوكتيتيس الذى يقع فى منطقة جرداء تذكرنا بافتتاحية مسرحية بروميشوس مقيداً لأيسخيلوس ، وإن كان سوفوكليس قد استطاع براعة ألفاظه أن يصور لنا تلك البقعة المهجورة حتى نكاد نحس ما خيم على المكان من صمت لا تسمع فيه غير تكسر الأمواج على الصخور وصوت الريح القاسية . وتبدأ المسرحية بوصول أوديسيوس ونيوبتوليموس إلى ساحل الجزيرة . يحاول أوديسيوس اقناع نيوبتوليموس

بضرورة الالتجاء إلى الحيلة لاستمالة فيلوكتيتيس . ثم يسمع صراخ فيلوكتيتيس من الخارج فينسحب أوديسيوس تاركاً نيوبتوليموس وحده لمقابلته . يسعد فيلوكتيتيس لرؤية شاب يوناني ويطمئن إليه ويثق به لأنه ابن أخيل . يتظاهر نيوبتوليموس بأنه مهموم ضائق بقواد الجيش غير راض عن تصرفاتهم ولذلك فهو عائد إلى دياره ، فيتوسل إليه فيلوكتيتيس ألا يتركه وحيداً بل يستحلفه باسم الشفقة والكرامة باسم الدين والحد أن يأخذه معه . يوافق نيوبتوليموس ، ثم يستودع فيلوكتيتيس الكهف المظلم الذي كان عزيزاً عليه ، ولكن فجأة يلتابه ألم شديد يضطره هو وزميله إلى إرجاء الرحيل لأن الألم سبب له إنغماء طويلاً ، وعندما يفتيق يكون قوسه وسهامه مع نيوبتوليموس . وبينما يتأهبان للرحيل ، يتردد نيوبتوليموس ويعرض عن الاستمرار في خديعة من وثق به ، لقد تأثر وتألم لحالة هذا المسكين فصرح له بكل شيء . وعندئذ يدخل أوديسيوس ويحاول اقناع فيلوكتيتيس بالرحيل معهما إلى طروادة فلا يرضى ، فيكتفى أوديسيوس بأخذ القوس والسهام وترك ذلك العنيد الذي يأبى الرحيل معهم إلى طرواده ، ولكن نيوبتوليموس يصبر على إعادة الأسلحة إلى صاحبها رغم احتجاج أوديسيوس . وعندئذ يتعمد الموقف فيلجأ الشاعر إلى حل المشكلة بتدخل الآلهة أو ما يسمى *deus ex machina* ، إذ يظهر هيراكليس فجأة نازلاً من السماء ، يعلن لصديقه رغبة زيوس التي تقضى بإخاره مع زميله إلى طروادة حيث تشفى جراحه وحيث يقتل باريس ويستولى على مدينة طرواده .

هذه المسرحية تتضمن فقرات تدل على مقدرة سوفوكليس الفائقة في فهم النفس البشرية وتحليلها وتصوير الصراع الذي يكمن فيها ، فقد استطاع بفنّه أن يبرز التباين بين حيل أوديسيوس اللولبية التي يَحْتَمِلُ بها لتحقيق مآربه ، وبين نمو الحواس ونبل العواطف

الإنسانية في نيوبتوليموس ، ومظهر النبيل الذي سما به العذاب في فيلوكتيتيس . ويلفت النظر في هذه المسرحية أمران ، الأول استغلال عنصر التمثيل أحسن استغلال ، فليس بالمسرحية خطب الرسول ، ودور الجوقة يكاد يكون غير ملحوظ ، والثاني ظهور أثر يوربيليس على سوفوكليس بوضوح في إنهاء المسرحية بتدخل هيراكليس لحل المشكلة .

وكانت مسرحية أوديب في كولونوس *Oedipus Coloneus - Οἰδίππους ἐπὶ Κολωνῶν* آخر ما كتب سوفوكليس؛ عرضت لأول مرة عام ٤٠١ ق.م بعد وفاة الشاعر بحوالى ثلاث أو أربع سنوات ، تقدم بها للمسابقة حفيده وسميه سوفوكليس الصغير . وأحداث هذه المسرحية تجري في أحراش الأيومنيديس *Eumenides* (الإلهات المحسنات وهو اسم عكسي لوظيفة تهن فتن ربّات العذاب) كولونوس مسقط رأس سوفوكليس . يدخل أوديبوس تقوده ابنته المخلصة أنتيجوني ، وهو الآن شيخ مهلم ضرير بعد أن حكم على نفسه بالنفى . وإذ يعلم المكان الذي هو فيه ويتأكد أنه مثواه الأخير يطلب استدعاء ثسيوس *Theseus* ملك أثينا . تقبل ابنته الأخرى إسميني حاملة الأنباء بأن أخوها ايتوكليس وبولينيكس يتنازعا ، وأن هناك نبوءة تزعم بأن النصر في هذا النزاع القائم بين طيبة بقيادة ايتوكليس وبين القواد السبعة وعلى رأسهم بولينيكس سيكون للجانب الذي به أوديبوس ، كما تعلن أيضاً أن كلا من الطرفين مشرق الآن إلى أخذه في صفه ، فيصب أوديبوس اللعنة على كليهما ، يقبل ثسيوس ، وإذ يعلم حقيقة أوديبوس وقصته تمنحه هو وبناته الرعاية والحماية والدفاع عنهم ضد كل معتد أثم ، فيعده أوديبوس بأن روحه بعد مماته ستحمي أثينا . وبعد خروج ثسيوس يقبل كريون الوصى على عرش طيبة ويفشل في استمالة أوديبوس إليه ولا ينال منه سوى السب واللعن ؛ عندئذ يلجأ إلى استخدام القوة في حملهم على

الذهاب معه قسراً ، ولكنه يفاجأ بوصول تسيوس الذى يتقدم من اعتدائه عليهم . ويعقب ذلك وصول بولنيكيس الذى يمثل الطرف الآخر فى النزاع طالباً مساعدة والده ، فيطرده أوديبوس من حضرته مصحوباً باللعنة والسخط . عندئذ يسمع قصص الرعد الذى ينبئ أوديبوس بدنو ساعته الأخيرة ، فيودع بنتيه ، ويذهب إلى حيث مقره الأخير الذى لم ولن يعرفه إلا تسيوس وخلفاؤه . أنتيجونى واسمينى ترجوان تسيوس ليدلها على هذا المستقر ، ولكن دون جدوى وذلك تنفيذاً لرغبة أوديبوس نفسه ؛ وأخيراً تعلن أنتيجونى عن رحيلها إلى طيبة عليها تستطيع إلتقاء موت أخويها بالتوفيق بينهما .

إن عقدة هذه المسرحية بسيطة للغاية ، ولكن روعتها فى الواقع ترجع إلى جمال الشعر ودقة تصوير المشاعر الإنسانية المختلفة ، كما ترجع أيضاً إلى ذلك الجلال الروحى الذى يشعه أوديبوس — وهو فى آخر أيامه — فى كل أجزاء المسرحية . وإن أأردس نيكول على حق حين وصف هذه المسرحية (المسرحية العالمية الجزء الأول ، ص ٧١) بأنها تصوير للسلم الروحى الذى تمخض عن العذاب ، إذ أننا نتنسم للنبيل فى شخصية أوديبوس — تلك الشخصية التى هوت فى أعماق اليأس ثم ارتفعت ظافرة فوق لجته — نتنسم أريجاً لا نجده عند أى رجل آخر .

لم يبق أمامنا الآن من مسرحيات سوفوكليس التى وصلتنا كاملة سوى مسرحية أوديبوس ملكاً Oedipus Tyrannus — Οἰδίππος Τύραννος وقد أرجأنا الحديث عنها حتى نهاية المقال لأهميتها ولأنها بيت القصيد فى هذا المقال وفى أعمال سوفوكليس أيضاً . ترجع الإشارة إلى أسطورة أوديبوس إلى أبعد العصور ، فقد أشار إليها هوميروس فى الأوديسا (الجزء ١١ ، البيت ٢٧١ وما بعده)

وتحكى الأسطورة أن أبوللون قد أنذر لايوس Laius بأنه إن أنجب ولداً فسوف يقتله هذا الولد ، وكان هذا الانذار عقاباً له على جرم ارتكبه فى حق بيلوبس Pelops الذى أكرم وفادته عندما لجأ إليه حين طرد من عرش بلاده طيبة ، فبدلاً من أن يعترف لايوس بالجميل والفصل لمضيفه بيلوبس يختطف ابنه خريسيبوس Chrysippus . يسترد لايوس عرشه ويتزوج من يوكاستا Iokasta . وبعد مدة تضع له زوجته ولداً فيغتم ويتنازع نفسه عاملان : الحرص على الحياة من ناحية ، والرغبة فى الولد الذى يرث الملك ويخلد الذكر من ناحية أخرى ؛ ولكن ترده هذا لم يستمر طويلاً فقد قرر التخلص من الولد ، فأرسله مع أحد خدمه ليتخلص منه بعيداً فوق قمة جبل كيثيرون Kithairon . وهناك أخذت الرجل الشفقة على الطفل ، وفيما هو جالس يفكر فى الأمر ، إذ يقبل أحد الرعاة من المملكة المحاورة . فاذا سأل زميله عن أمره وعرف ما يشغل باله ، اقترح عليه أن يعطيه الطفل ويعود إلى مولاه بدم كذب ، فيوافق . يعود الراعى إلى مدينته كورنث Corinth ، ويعطى الطفل للملكها بوليبوس الذى كان محروماً من نعمة الذرية ، فيفرح الملك بالطفل ويتبناه ، وتمعهده الملكة ميروبي Merope بالحب والرعاية ، فينشأ فى مهاد النعمة ولياً للعهد ، ويشب الطفل وهو يعتقد أنه ابن الملك والملكة بالفعل . وتسير الأمور هائلة هادئة رداً من الزمن ، إلى أن ذهب أوديبوس ، وقد صار الآن شاباً يافعاً ، مع نفر من أصدقائه ليلهو معهم ، فشرّبوا وسكروا ؛ وفى غمرة سكرهم يعيره أحدهم بأنه مجهول الأصل وليس ابن ملك كورنث وملكتها . ويهلع قلب الأمير الشاب أوديبوس ويذهب إلى معبد دلفى ليستلهم الحقيقة من أبوللون ، فجاءه الوحي بأنه إن عاد إلى وطنه فإنه سيقتل أباه ويتزوج من أمه ويحلب التماساً على أهله وذويه . يشتد هلع أوديبوس ويعتزم عدم العودة إلى كورنث حتى لا يقع

هذا الشر المستطير ، فهو يحسب أن ملكها وملكها هما أبوه وأمه . ويمضى فى طريقه على غير هدى إلى أن يأتى إلى مكان عنده مفترق طرق ثلاث . وفى هذا المكان يلتقى بجماعة من المسافرين على رأسهم شيخ وقور يركب عربة . يصيح به بشيرهم ليخلى الطريق ولكنه لا يبالى ويصر على أن يمر هو أولاً . وتنشب بينهم معركة يقضى فيها أوديبوس على كبيرهم وكل حاشيته إلا واحداً استطاع أن ينجو بجلده . وهكذا تحقق جزء من النبوة ، فلم يكن ذلك الشيخ الوقور سوى لايوس والد أوديبوس ، وكان فى طريقه إلى مهبط وحى دلفى ليعرف كيف السبيل للخلاص من ذلك الاسفمنكس - الوحش الهول - الذى يهدد مدينة طيبة ويقطع الطريق على الناس ويقتل منهم كل من لا يستطيع حل لغز يلقيه عليه . يقبل أوديبوس على طيبة وهو لا يدري أنها مستقط رأسه ؛ وعلى أبوابها يعترض الاسفمنكس طريقه ويلقى عليه اللغز : ما الحيوان الذى يسير فى الصباح على أربع ، وفى الظهيرة على اثنتين ، وفى المساء على ثلاث ؟ فيجيب عليه أوديب : إنه الإنسان ، فهو يجرى على أربع وهو طفل ، فاذا شب واستوى عوده سار على اثنتين ، وإذا أدركته الشيخوخة توكأ على عصا . فيضحك الاسفمنكس ويتركه لمضى فى شأنه ، إذ كانت هذه هى الإجابة الصحيحة ، ولكن أوديبوس يستل سيفه ويهاجمه ولا يزال به حتى يجهز عليه ، وتكون هناك جماعة من أهل طيبة واقفة على الأسوار تشاهد هذا الصراع الرهيب . كان أهل طيبة قد تلقوا نبأ مقتل ملكهم لايوس فى ظروف غامضة من الحارس الذى فر هارباً ، ولكنهم سرعان ما يشغلون عن هذا بذلك الشاب الباسل الذى خلصهم من الرعب الرابض على أبواب مدينتهم ، فيقبلون عليه مهئين مستبشرين ، ويدخلون به المدينة دخول الفاتح المنتصر ، حيث يتوجه كريون ملكاً على طيبة ، ويزوجه من الملكة يوكاستا ، وذلك تحقيقاً لنذر نذرته أهل المدينة لمن

يخلصهم من الاسفمنكس . فلم يملك أوديبوس ، وقد عقدت لسانه الدهشة ، إلا أن ينزل على رغبتهم ، ويقبل الملك والزوجة ، وبذلك تحققت كل النبوة . وتمضى الأيام والسنون وأوديبوس يحكم المدينة فى أمن وسلام ، وتنجب له يوكاستا - زوجته وأمه - ولدين وبنتين ، أما الولدان فهما إتيوكليس وبولنيكيس ، وأما البنات فهما أنتيجونى وإسمينى . ولكن القضاء كان لهم بالمرصاد ؛ إذ يهدد المدينة الطاعون والحجاعة ، فيرسل الملك إلى دلفى من يسأل عن سبب ذلك الوباء وطريقة الخلاص منه ، فيعود الرسول بقول أنه لا خلاص لطيبه مما هى فيه إلا إذا تطهرت من رجس بها ، وهذا الرجس هو وجود قاتل لايوس بها ، فلا بد إذن من القبض عليه والاقتصاص منه . وبعد تقصى الحوادث تتضح الحقيقة ، وهى أن قاتل لايوس إن هو إلا أوديبوس نفسه ، وأنه تزوج من أمه وأنجب منها أبناءهم فى نفس الوقت إخوة له . تظلم الدنيا فى عيني أوديبوس ، وتكون أمه قد انتحرت عندما عرفت الحقيقة ، فينطلق إلى داخل القصر لیسمل عينيه فى ثورة جنون ، ويترك البلاد ، تقوده ابنته أنتيجونى ، فقد حكم على نفسه بالنفى .

هذه هى الأسطورة ؛ فكيف تصرف فيها سوفوكليس ؟ لم يعرض سوفوكليس الأسطورة بالتسلسل الروائى الذى رويناه ، وإنما بدأ مسرحيته من منتصف الأسطورة . ولكن كان لا بد من الإحاطة بالأحداث السابقة على نقطة البدء . لم يلجأ سوفوكليس فى شرحها إلى طريقة المقدمات prologue بالطريقة التى كان يتبعها يوربيدس فى معظم مسرحياته التى اتبعها سوفوكليس نفسه فى مسرحية نساء تراخيس ، وإنما كان بارعاً فى الإشارة إلى هذه الأحداث خلال عرض مسرحيته ، فكان موفقاً كل التوفيق فى مزج الماضى والحاضر .

تبدأ المسرحية عند سوفوكليس بتجمع نفر من أهل مدينة طيبة يحملون أغصان الغار والزيتون ، وقد جثوا أمام مذبح قصر الملك أوديبوس ، وبينهم كاهن زيوس كبير الآلهة . يخرج إليهم أوديبوس ، وقد مضت عليه سنوات يحكم فيها البلاد حكماً عادلاً ، وهو الآن زوج يوكاستا وأبو أولادها ، يخرج إليهم متسائلاً :

- أى أبنائى ، يا ثمار نسل كادموس التليد ، أيها الجيل الحديث الناشئ ، ما لكم جاثين هكذا ، حاملين معكم صفائر الزهر وأغصان التوسل ، فى حين يملأ المدينة عبق البخور ، وترتفع فيها الأصوات بالأدعية ، ويشيع بين أهلها الأنين . . . من أجل هذا جئت إليكم ، أنا أوديب الذى تبجله الناس جميعاً .

وإذ يعلم أنهم لجأوا إليه كى يتقدم من هذا الوباء الذى يحصدهم حصداً ، كما أنقذهم من قبل من ذلك الوحش الذى كان يهدد مدينتهم ، يطمنهم ويطيب خاطرهم ويخبرهم بأنهم إن كانوا يألمون فانه يألم أكثر منهم ، فهو يحمل كل آلام المدينة على كاهله ، كما يخبرهم بأنه قد أرسل كريون إلى معبد دلفى ليعلم من الإله أبوللون ما ينبغى أن يصنع . ولا يمضى وقت طويل حتى يقبل كريون مبتهجاً وقد توج رأسه بأكليل الغار فيبادته أوديبوس بالسؤال :

- أى جواب تحمله إلينا من الآلهة يا كريون ؟ كريون : إن شئت تكلمت أمام هذا الحشد ، وإلا فلندخل القصر .

أوديبوس : تكلم أمامهم جميعاً ، فإن آلامهم تثقل على أكثر مما تثقل على آلامى ، وإن الأمر لأخطر من أن يمضى وحدى .

فيعلن كريون أن الإله أبوللون يطلب إليهم تطهير المدينة من قتلة الملك السابق لايوس بتوقيع القصاص عليهم ونفيهم . فإذا سأل أوديبوس :

- : أين هم وكيف نفتنى أثر هذه الجريمة التى حدثت منذ أمد بعيد ؟

أجاب عليه كريون

- : لقد قال الإله إن الآتين فى هذه الأرض ، ومن بحث عن شىء وجدوه ومن أهمل شيئاً أفلت من يده .

فاذا بأوديبوس يقرر

- : إذن فلأرجع بالأمر إلى أصله حتى أرده إلى الجلاء والوضوح .

ثم يخرج الجميع ليدخل أفراد الجوقة التى تتألف من خمسة عشر من أشرف طيبة فتغنى أنشودة تبتهل فيها إلى الآلهة أن ترفع عن طيبة هذا البلاء .

ومن هذا الموقف تبدأ عقدة مسرحية سوفوكليس فى التطور نحو الذروة ، فقد راح أوديبوس يبحث عن هؤلاء القتلة ، فأدى به هذا البحث إلى الكشف عن حقيقة نفسه ؛ وقد أدار سوفوكليس دفعة هذا البحث فى بناء درامى محكم يصل فى روعته إلى حد الإعجاز .

يدخل أوديبوس مرة أخرى ، فيخاطب أفراد الجوقة مطالباً إياهم أن يعينوه على اكتشاف الحقيقة ، ويهيب بالقاتل أن يظهر نفسه ، فان أقصى ما سيناله ، إن دل على نفسه ، هو أن ينفى دون أن تتعرض حياته لأذى خطر ، كما ينذر ويتوعد كل من يعرف القاتل ولا يدل عليه ، إذ يجب أن يردوه جميعاً عن ديارهم فهو الرجس بالقياس إلى المدينة كلها كما أنبأ بذلك وحى أبو للون . وإذ ينصحه رئيس الجوقة باستدعاء تريسias الكاهن القادر على اختراق حجب الغيب ، يجيب بأنه لم يهمل هذه الخطة بناء على مشورة كريون ، وقد أرسل بالفعل فى طلبه . يقبل تريسias الأعمى يقوده صبي صغير ويسأله أوديبوس ، فيجيب إجابات غامضة ملتوية ، فينتهره الملك ويتمه بأنه شريك فى القتل ولولا أنه أعمى لقال إنه القاتل نفسه فيثور الكاهن ويصيح كالحنون :

أوديبوس : ألم تشر على بأن أرسل في طلب هذا الكاهن ؟

كريون : بلى ، وما زلت أرى هذا الرأى .

— : أى أمد مضى على لا يوس منذ أن قتل ؟

— : ماذا تقصد ؟ لا أفهم مضى على ذلك زمن طويل .

— : أكان هذا الكاهن يصطنع كهانته حينئذ ؟

— : نعم ، وكان بارعاً كما هو الآن .

— : هل أسفاني في ذلك الوقت ؟

— : كلا لم يفعل ذلك ، أماى على الأقل .

— : ألم تبحثوا عن الحقيقة في مصرع الملك ؟

— : بحثنا بدون شك ولكن بلا طائل .

— : ترى لماذا لم يقل ذلك البارح إذ ذاك ما يقوله اليوم ؟

— : لا أدري .

— : لا تدري ، ولكن قد تقوله حين تواتيك الفرصة .

ويشتد الحوار حتى يصل إلى ذروته .

كريون : ماذا تريد إذن ؟ أتريد نفي من المدينة ؟

أوديبوس : إلى أريد موتك لا نفيك .

ثم تدخل الملكة يوكاستا لتوقف هذا الصدام بقولها :

— : أيها المغروران ، حسبكما ما تشدقما به من

ألفاظ الغضب العمياء ، ألا تخجلان من إثارة الخصومة الخاصة بينا المدينة كلها تنزف دماءها .

وتحاول التوفيق بينهما فلا تفجح ، ونخرج كريون

محنقاً . ثم تسأل أوديبوس عن سر هذا الغضب فيخبرها

أنه اتهام كريون به ، فهو يزعم أنه هو قاتل لا يوس

ويدعى أن الكاهن هو الذى أخبره بذلك ، فتسفه

يوكاستا كهانة الكاهن ، بل الكهانة كلها بما في ذلك

كهانة أبوللون نفسه ، وتذكر له أن كهان أبوللون

— إنك أنت نفسك الأرجس الذى يندنس المدينة .

فتحتدم ثورة أوديبوس على إثر هذا الاتهام الرهيب وتبلغ الثورة مداها فيقذف بالتهم في وجه الكاهن ، فيتهمه بأنه صنيعه كريون الذى رشاه بالمال ليخترع هذه الفرية كى ينزعه عن العرش ، كما يعبره بفقد بصره . فلا يسع تريسياس عندئذ إلا أن يصرح بالحقيقة ويرهص بالنهاية :

— إذن فلأقل لك في صراحة ما دمت تعيرني فقدان البصر . . .

أنك تبحث مهتداً منذراً عن الرجل الذى قتل لا يوس ، فاطمئن ، سوف أدلك عليه ، إنه هنا ، يقيم على أنه غريب ، ولكن سيعرف الناس أنه من أهل طيبة . . . إنه يرى ، ولكنه سيفقد البصر ، وسيسعى ، وعصاه تتحسس طريقه ، ضارباً في بلاد مجهولة ، مصغياً إلى أصوات تهتف به من حوله : هذا أب وأخ لأبنائه ، هذا رجل جلب الحزى والعار على أبيه وأمه .

هذا ابن قاتل ، مرتكب للفسق .

ثم يخرج الكاهن مغضباً ، ويدخل أوديبوس القصر وكلمات الكاهن تطن في أذنيه . تنشد الجوقة أنشودة تستعيد فيها أفضال أوديبوس على المدينة ، وتتردد في تصديق ما تنبأ به الكاهن تريسياس . عندئذ يدخل كريون ، وكان قد سمع بما اتهم به الملك فيدافع عن نفسه أمام الجوقة ويلوم أوديبوس لإهانته بهذا القول . ثم يدخل أوديبوس فيشتبك مع كريون في حوار عنيف :

أوديبوس : إذا كنت تحسب أنك تستطيع الاعتداء على أحد أقربائك دون أن تنال العقاب فأنت واهم .

كريون : أنت على حق في هذا ، ولكن ماذا جنيت في حقلك من ذنب ؟

كانوا قد أخبروا الملك لا يوس بأنه سيموت مقتولا بيد ابنه الذى يولد منها ، ولكن الناس جميعاً تؤكد أن لصوصاً من الأجانب قد قتلوا الملك لا يوس منذ زمن بعيد فى طريق ذى ثلاث شعب . وما أن يسأل أوديبوس عن زمان ومكان وقوع الحادث وتعيينه له يوكاستا حتى يضطرب ويسأل :

— كيف كان لا يوس ؟ ما هيئته وماذا كانت سنه ؟

يوكاستا : كان طويلاً وخط الشيب رأسه ، وكانت فيه ملامحك .

— ما أشقانى . . .

أكان مسافراً فى جماعة صغيرة أم كان يتبعه حرس كبير ؟

— كان معه خمسة لا غير ، بينهم منادى .

— أواه ! الآن يتضح كل شيء ، ولكن من أنباك بكل هذا ؟

— خادم نجا وحده .

— أهو فى القصر الآن ؟

— لا

فيطلب استدعاء هذا الخادم من المرعى ، ثم يحدث الملكة عن نفسه وعن حياته فى كورنث ويدر لها كل ما حدث له حتى وصل إلى طيبة وأصبح ملكها ، كما يعبر عن قلقه وخوفه من أن يكون هو القاتل ، ولكنه يتعلق بأمل فى مقدم هذا الرجل الراعى ، فان أكد ما قالته الملكة الآن من أن القاتل كان جماعة ولم يكن فرداً واحداً فقد نجا . ثم يخرجان لتشهد الجوقة أنشودة أخرى تخفف من حدة التوتر ، تعود بعدها يوكاستا ومعها قرابين تقدمها للآلهة لتهديته قلق أوديبوس . عندئذ يدخل رسول من كورنث يحمل أنباء خلاصتها أن أهل كورنث سيختارون أوديبوس ملكاً عليهم لموت الملك پوليبوس . فتطلب الملكة من إحدى وصيفاتها استدعاء أوديبوس فيحضر ؛ وإذ يعلم رغبة أهل كورنث

فى تنصيبه ملكاً عليهم ، يبدى قلقه وتخوفه . فانه وإن كان لم يقتل پوليبوس أباه على حد زعمه ، فربما تحققت النبوءة فى شطرها الثانى ، فالملكة ميروبي — التى يعتقد أنها أمه — لا تزال على قيد الحياة . وهنا يكشف له الرسول عن حقيقة صلته بملك وملكة كورنث ، فقد كان هذا الرسول هو نفس الراعى الذى أخذ أوديبوس وهو طفل وأهداه إلى ملك كورنث . ثم يصل الرجل الذى كان قد نجا من القتل ، فاذا رأى أوديبوس ، ظهرت عليه علامات الفزع ، وإذا رأى الرسول الكورنثى عرفه أيضاً وبجزع جزعاً شديداً ، فقد كان هذا الرجل هو نفس الخادم الطبى الذى سلم الطفل أوديبوس إلى الراعى الكورنثى الذى هو الآن الرسول . وبذلك تنكشف الحقيقة كاملة . فتخرج الملكة يوكاستا لتتجر ، ثم يتبعها أوديبوس ليسلم عينيه . يصل رسول من داخل القصر يحدثنا بما كان من أمر الملكة والملك فيقول :

— لقد عبرت (الملكة) البهو ذاهلة عن نفسها لما بها من سوره ، وكانت ماضية لا تلوى على شيء ، ويدها فوق رأسها ، تستأصل بهما شعرها وكأنهما سلاحان ماضيان ، فتنتطلق إلى حجرتها ، حتى إذا دخلتها أغلقت الأبواب من خلفها فى عنف ، وهى تهتف باسم لا يوس الذى مات منذ أمد بعيد ، كما كانت تعول وتذبح على هذا السرير الذى تلقى أزواجاً من زوجها وأبناء من ابنها . وبعد ذلك لا أدرى كيف استطاع الموت أن يجد سبيله إليها . لأننا فوجئنا بأوديبوس وقد أقبل صارخاً صاخباً ، فلم أعد أرى ما انتاب الملكة . . . لقد اقتحم أوديبوس باب الغرفة المحكم الاغلاق فحطمه واقطعه من جذوره ثم دخل الحجرة . لقد كان أول ما شهدنا الملكة وقد شنت نفسها ، وكانت لا تزال تتأرجح فى الأنشطة كطائر ميت . فلا يكاد الشقى يرى هذا المشهد ، حتى تنبث منه آهة يائسة ، ثم يندفع فيحل

الأنشودة التي كانت تشنقها ، فتسقط البائسة على الأرض . آه . ما أبشع المنظر الذى تلا ذلك ! فان أوديبوس ينتزع المشابك الذهبية التي تشبه اللهب ، ينتزعها من صدرها ، ويدفع بها في عينيه صائحاً : اخرجاً . . . اخرجاً . . . فلن ترياينى بعد اليوم ، ولن تريا آلامى وآثامى . . .

ثم يصل أوديبوس والدم يسيل من عينيه ، وإذا بأفراد الجوقة يشيحون بوجوههم حتى لا يروا هذا المنظر المريع . لقد أصبح أوديبوس الآن كائنًا ذليلاً ، مهبط الجناح ، يتلمس طريقه في الظلام الأبدي ، مقطوع الأمل والرجاء في الدنيا والآخرة ، لاعناً الرجل الذى نجاه من الموت ليدفع به إلى هذا الشقاء الذى يحيق به هو وبكل من له به صلة ، ثم يستصرخ الجوقة قائلاً :

— أستحلفكم بحق الآلهة أن تسارعوا باخفائى عن الأبصار ، قودونى إلى مكان سحيق ، فاقتلونى ، أو ألقوا بى في اليم حيث لا يراينى أحد أبد الدهر .

ثم يدخل كريون فيعتذر إليه أوديبوس وهو يبكى ثم يستعطفه ويوصيه خيراً ببنتيه ، فيتأثر كريون ويبدى نحوه عطفًا شديدًا ويواسيه . ثم تدخل الفتاتان أنتيجوني وإسميني بناء على أمر من كريون ، وإذا يسمع أوديبوس صوت بكائهما يقول :

— ألسنت أسمع بكاء ابنتى غير بعيد من هنا ؟ هل أشفق على كريون فبعث إلى بأعز أبنائى وآثرهم عندي ؟ . . . لتكافئك الآلهة إذ سمحت لى بلقائهما . . . بنتى ! أين أنتما ؟ ادنوا منى ، تعاليا إلى ذراعى أواه ! تعاليا إلى ذراعى أخيكما . . اللتان حرمتا الضوء — بما صنعنا — عيني الرجل الذى أنجبكما . . الرجل الذى كان مغمض العينين لا يرى ولا يدرى كيف أخرجكما من الأحشاء التى خرج هو منها . . أى شقاء لم ينزله بكما أبوكما ؟ قتل أباه ، وتزوج من أمه ، ومنحكما الحياة من حيث استمدها . . .

أى كريون . . . أنت وحدك الآن والد هاتين الفتاتين إذ هلك أبوهما اللذان كانا يراعاهما من قبل . أتوسل إليك لا تدعهما ، لا تتخل عنهما . . إنهما لا تزالان صغيرتين كما ترى . . وحيدتين من الأهل إلا منك . . . أعطنى يدك وعاهدنى . . ولما يخرج أوديبوس منهاراً ، تقوده ابنتاه ، تتغنى الجوقة أنشودة الختام ، التى تلخص عادة مغزى المسرحية :

— أى أبناء الوطن العزيز ، انظروا إلى أوديبوس الذى حل اللغز العجيب ، الذى أعجز غيره من البشر . . انظروا إلى هذا الرجل القوى . . أهنأك من لم يكن ينظر إلى رخائه ويسره وسعاده في غير ما حسد ؟ انظروا الآن في أى بحر هائل من الشقاء قذف به !

فعليكم أن تأخذوا حذرکم ، وأن تبصروا في عواقب أموركم ونهاية أيامكم ، إذ لا ينبغى أن نحكم على أحد من الناس بأنه سعيد ، إلا إذا انقضت الساعة الأخيرة من حياته ، وانتقل إلى العالم الآخر (Hades) من غير ألم وبلا ووزر يحمله .

وهكذا تنتهى مسرحية أوديبوس ملكاً لسوفوكليس التى تعتبر بحق أروع ما كتب سوفوكليس ، فأشعارها سهلة متدفقة ، تفيض بالعواطف المتأججة ، وخوارها يفوق الوصف من الناحية اللغوية والناحية الموسيقية ، ليس فيها سطر من غير ضرورة ؛ ولم تترك المسرحية أى فرصة لخلق التوتر العاطفى والنفسى ولخلق التشوف والتشويق لدى المشاهد إلا انتهزتها . كما أن المسرحية تعتبر النموذج الكامل للتراجيديا الإغريقية ، وذلك باجتماع آراء النقاد القدماء والمحدثين ، وعلى رأسهم أرسطو الذى أشاد بمواضع الكمال فيها فى أكثر من موضع من كتابه المشهور فن الشعر . فحال بطلها أوديبوس مثلاً هى حال من ليس فى الذروة من الفضل والعدل ، ولكنها حال من يتردى فى هوة الشقاء ،

لا للوهم فيه وخسة ، بل لخطأ ارتكبه ، وكان ممن ذهب سمعه بين الناس وترادفت عليه النعم ، وهذه في رأى أرسطو حال البطل النموذجي للتراجيديا (فن الشعر ، ١٤٥٣ أ ، ١١) . والمسرحية تثير الخوف والرحمة ، لا عن طريق المنظر المسرحي ، بل عن طريق البناء الدرامي وترتيب الأحداث التي ألقت على نحو يجعل كل من يسمعها يفرغ منها وتأخذ الرحمة بصرها وإن لم يشهدها ، وهذا من عمل فحول الشعراء (فن الشعر ، ١٤٥٣ ب ، ٧) . والتعرف على الحقيقة في هذه المسرحية هو أفضل أنواع التعرف ، وهو التعرف المصحوب بالتحول ، كما أنه من النوع الذى يستنتج من الوقائع نفسها حيث تقع الدهشة عن طريق أحداث محتملة الوقوع ، لا عن طريق أحداث مفاجئة غير محتملة الوقوع . ففى المسرحية يأتى الرسول الكورنثى وفى تقديره أنه سيدخل السرور على نفس أوديبوس ويطمئنه من ناحية أمه ، فلما أظهر حقيقة نفسه أحدث عكس الأثر ، وتحقق التعرف على الحقيقة ، كما حدث فى نفس الوقت التحول من السعادة إلى الشقاء . (فن الشعر ، ١٤٥٢ أ ، ٢٤ ، ٣٣ ؛ ١٤٥٥ أ ، ١٩) . وليس فى أحداث المسرحية شئ غير معقول ، وحتى إذا اعتبرنا مثلاً أن كون أوديبوس لا يعرف كيف مات لا يوس أمر غير معقول ، فقد حدث هذا خارج المسرحية ، ولم يكن ضمن أحداثها الداخلية فى بنائها الدرامي (فن الشعر ١٤٥٤ ب ، ٨ ؛ ١٤٦٠ أ ، ٢٩) .

لقد شغلت مأساة أوديبوس كثيراً من كتاب المسرح فى كل العصور والأمصار . وقد أحصى الناقد الفرنسى مارينياك — فى المقدمة التى كتبها للترجمة الفرنسية لمسرحية أوديب لتوفيق الحكيم — تسعاً وعشرين مؤلفاً من بين الفرنسيين قد حاولوا منذ عام ١٦١٧ إلى عام ١٩٣٩ محاكاة سوفوكليس ومعالجة موضوع أوديبوس (انظر هذه المقدمة فى نهاية مسرحية « الملك أوديب » لتوفيق الحكيم ، طبعة ٢ النموذجية ، ص ٢٠٣) كما أن توفيق الحكيم وعلى أحمد باكثير ، من الكتاب العرب ، قد عنيا أيضاً بهذه المأساة . ولكن يجب الاعتراف بأن الذين أرادوا محاكاة سوفوكليس لم يبلغوا ما بلغه من شأ فى تحقيق الغرض من معالجة موضوع مأساة أوديبوس . فلقد استطاع سوفوكليس بعبقريته الفذة أن يعالج الموضوع علاجاً مركباً . فالمسرحية فى ظاهرها إحدى مآسى القدر ، إذ تحققت نبوءة الآلهة ، رغم كل المحاولات التى بذلت للفرار من هذا القدر المحتوم ؛ ولكن شخصية أوديبوس — كما صورها سوفوكليس — هى السبب المباشر فى تحقيق هذه النبوءة ، إذ تتمثل فى شخصيته نقط الضعف الرئيسية ، وهى التهور وحدة المزاج ، التى دفعت بالأحداث أن تسير فى الطريق الذى رسمه القدر ؛ لذلك فأنت ترى أوديبوس يتحمل المسؤولية كلها ولا يتنصل منها بالقاء التبعة على الآلهة التى لا مرد لتقضائها .

